على انه حال من ضمير الفاعل في سواء اي فانتم فيه مستوون تخافون عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الاحرار
الذين امثال لكم اذا كان بينكم وبينهم شركة فاذا لم ترضوا ان يشاركم عبيدكم في المال فكيف تشركون
بالله من هو مصنوع له واعلم ان المثل لا بد ان يشابه الممثل به من وجه ويخالفه من وجه آخر
ووجه المشابهة هنا ظاهر واما وجه المخالفة فقد اشير اليه في الآية بوجوه الاول اشير اليه بقوله
من انفسكم اي من نسلكم مع حقارة انفسكم وانتقاصها وعجزها وجلاله تعالى وعظمته وقدرته وكماله
واشير الى الثاني بقوله مما ملكت ايمانكم اي من عبيدكم عليهم ملك ايديكم الطارئ القابل للنقل والزوال مملوكة له
اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق ومملوكه لا خروج له عن الملك بوجه من الوجوه
فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل في الحال
مثلكم في الآدمية حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من
العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله تعالى لا يتصور خروجه من ملكه اشركا
ومملوكه من جميع الوجوه شريكا له واشير الى الثالث بقوله من شركاء فيما رزقناكم يعني في الذي
هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما هو لكم
من حيث الاسم وفي ظاهر الامر فكيف يجوز ان يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شيء
فهو لله تعالى وما تدعون الهيته لا يملك شيئا اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعته تصل اليكم منه
واما قولكم شفعاؤنا فليس كذلك لانه اذا لم يكن لما ملكت ايمانكم مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة
حرمة عندكم كحرمة الاحرار فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك الحق
بوجه من الوجوه بل لا يتصور ان يكون لهم حرمة عند المالك المطلق والى هذا اشير بقوله تعالى
تخافونهم كخيفتكم ثم انه تعالى لما بين بطلان الشرك بما ضربه من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية
وبعد ما بين حسن ذلك المثل بقوله تعالى كذلك نفصل الآيات اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل التمثيل المحسن
والبيان المعجب نبين الآيات قال بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم اي لكن الذين اشركوا اتبعوا
اهواءهم فيما ذهبوا اليه من الشرك من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة
الله تعالى حيث قال فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء اضلهم الله تعالى فلا هادي لهم فلا يحزنك شأنهم
ثم قال اذا بان لك بطلان الشرك بما اوضحناه لك من الآيات فاقم وجهك للدين حنيفا اي غير ملتفت
يمينا وشمالا اي يكون حنيفا خالصا عن الشرك او غير ملتفت عنه لسبح الله تعالى ان يكون رجالا من الذين والحنيف
الحنف وهو الاعوجاج في الرجل ان تقبل احدى ابهامي رجليه على الاخرى والرجل احنف فسمي به المستقيم في
الدين حنيفا بطريق تسمية احد الضدين باسم الاخر تمليحا كما سمي الغراب اعور وللكن تنبيه الى الدين الحق في كل حال وكل وقت
وهو مثل لك بالاقبال على الصلاة لجناب الثبات والركائز وهو كسر السكون لما احاط به فكأنه تقدم الحقيقة فلذلك

فلذلك جعله من قبيل التمثيل بانه بمعنى انه شبه اقبال القلب على الدين وثباته عليه واهتمامه
برعاية حدوده واركانه باقبال الشخص الى موضع معين وقصده اياه وتقويم وجهه الى سمته
معتقدا بانه لو انحرف عنه ضل عن مقصده فعبر عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه
اقم قوله نصب على الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او على المصدر لما دل عليه المضمون الجملة
كقوله صبغة الله وصبغ الله اي فطركم الله فطرة وفسر الفطرة بالخلقة ثم ان المراد بها
هاهنا وجه فيكون الخلقة على جميع ذلك الوجوه بمعنى ما خلق عليه المكلف الوجه الاول ان تكون
الفطرة عبارة عن قبول الحق وتمكنهم من ادراكه فانه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة
والطبع المتهيئ لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا عليها لاستمروا على لزومها
لان هذا الدين موجود حسنه في العقول وبعض فيه النظر الصحيح ولو يعدل عنه احد الا بآفة
عارضة كالتقليد واغواء شياطين الانس والجن فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره
ويؤيده قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة
هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرأيت من يموت
وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا يعملون قال الامام القاشاني في تأويلاته قوله ولله المثل الاعلى
اي الوصف الاعلى المراد به الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد في معناه
لا اله الا الله فاقم وجهك للدين اي التوحيد والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها
وعوارضها واقامته للدين تجريدها عن كل ما سواه تعالى قائما بالتوحيد والوقوف مع الحق غير ملتفت
الى نفسه ولا الى غيره حنيفا مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التي هي طرق الاغيار والانداد
لمن اثبت غيره باشراكه فطرة الله اي الزموا فطرة الله وهي الحالة التي فطرت الحقيقة الانسانية
عليها منها من الصفاء والتجرد في الازل وهي الدين القيم ازلا وابدا لا يتغير ولا يتبدل عن
الصفاء الازلي ومحض التوحيد وتلك الفطرة الاولى ليست الا من الفيض الاقدس
الذي هو عين الذات من بقي عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق واما يقع
الانحراف والاحتجاب من غواشي النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلقة او التربية والعادة
واما الاول فلقوله عليه السلام في الحديث كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن
دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري واما الثاني فلقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه لا تغيير لتلك الحقيقة في نفسها عن حالها الاصلية
فانه محال وذلك معنى قوله تعالى لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انتهى كلامه قدس سره والوجه الثاني ان يكون الفطرة عبارة عن الدين الذي هو ملة الاسلام فانه

Copyright © King Saud University